

جواب سؤال

انقلاب الجيش في بوركينا فاسو

السؤال: أُعلن الجيش في بوركينا فاسو يوم ٢٠٢٢/١/٢٤ استيلاءه على الحكم بعدما أطاح بالرئيس روش كابوري وعلق العمل بالدستور وحل الحكومة والبرلمان وأغلق الحدود. ووقع المقدم بول هنري سانداوغو دامبيا بيان إعلان الانقلاب وقرأه ضابط آخر على التلفزيون الحكومي باسم "الحركة الوطنية للحماية والإصلاح". ووعد البيان بأن "تعود البلاد إلى النظام الدستوري في غضون فترة زمنية معقولة" لم يحدد مدتها. فمن يقف وراء هذا الانقلاب؟ وهل له علاقة بالصراع الدولي في البلد؟

الجواب: نستعرض الأمور التالية ليتضح الجواب:

١- إن بوركينا فاسو، واسمها القديم فولتا العليا، يُعدُّ بلداً إسلامياً إذ إن أكثر من ٥٦٠٪ من أهلها مسلمون، وهو رابع بلد في أفريقيا في إنتاج الذهب ويحوي كثيراً من المعادن الأخرى كالنحاس والزنك وغيرها، وقد احتله الفرنسيون وفرضوا عليه استعمارهم منذ عام ١٨٩٦، بل ضموه إلى ما يسمى الاتحاد الفرنسي. واضطروا إلى أن يعطوه الاستقلال الشكلي عام ١٩٦٠، فأُسست فرنسا فيه نظاماً وجيشاً تابعين لها، ولها فيها قاعدة عسكرية تابعة لقوات خاصة تستخدمنها لحفظ نفوذها في المنطقة. وجعلتها عضواً في مجموعة دول الساحل الأفريقي الخمس للمحافظة على نفوذها في غرب ووسط أفريقيا. وربطت اقتصادها بها عن طريق ما يسمى بالفرنك الأفريقي وأصبح يُقْوَم باليورو، وتحول أموال الدول المرتبطة بهذه العملة إلى البنك المركزي الفرنسي، فتستثمر فرنسا هذه الأموال كييفما تشاء لدعم اقتصادها، فكلاها أساليب استعمارية تبقى هيمنة المستعمر على البلد ونخبه لشراطها. ورغم ذلك عملت أمريكا على الولوج إليه عبر إثارة أفكار التحرر من الاستعمار وأفكار اليسار، وعن طريق تقديم ما يسمى بالمساعدات وقروض صندوق النقد الدولي وشروطه المحففة وتنظيمات المجتمع المدني والاتصال بالسياسيين والعسكريين. ومؤخراً بدأت تستخدم ذريعة محاربة الإرهاب لبسط نفوذها هناك، حيث بدأت باستخدام القواعد العسكرية في البلاد ضد الجماعات الإسلامية المسلحة.

٢- وقد أبدت أمريكا اهتماماً بهذا البلد وبما يجاوره فعينت مبعوثاً خاصاً لمنطقة مجموعة دول الساحل منذ عام ٢٠٢٠ بذرية مواجهة أعمال العنف والمجامات من قبل الجماعات الإسلامية المسلحة. وأعلنت الخارجية الأمريكية أن الوضع في دول الساحل وخاصة في منطقة الحدود الثلاثية بين بوركينا فاسو ومالي والنيجر بدأ يتدهور فاقتضى تعين مبعوثاً خاصاً لمنطقة. وقد تدخلت فرنسا من جديد في المنطقة منذ عام ٢٠١٣ بعد الانقلاب الذي حدث في مالي عام ٢٠١٢ ضد نفوذها بدعوى محاربة الجماعات الإسلامية المسلحة في شمال مالي. وقد حصلت احتجاجات في نهاية العام المنصرم ضد الوجود الفرنسي في البلد وتدخله في منطقة غرب أفريقيا وطالبوها بعودتها إلى بلاده. أي أن هناك تحركاً ضد الوجود الفرنسي في بوركينا فاسو. وكل ذلك يؤكد وجود صراع أمريكي فرنسي في بوركينا فاسو كما هو حاصل في منطقة غرب ووسط أفريقيا. وهكذا يستمر الصراع بين أمريكا وفرنسا في غرب ووسط أفريقيا. وقد أشار ماكرون في حديث له حول هذا الصراع بصيغة أخرى قائلاً ("إن العلاقات متعبة قليلاً بين القارتين") وأكده في حديثه على ضرورة "إعادة تأسيس عقد جديد اقتصادي ومالي مع أفريقيا" وقال: "إن أوروبا يجب أن تعتمد في هيئات الدولة الاستراتيجية مشتركة مع أفريقيا.. وتطبيق أجندته في التعليم والصحة والمناخ" ... فرنس برس، ٢٠٢١/١٢/٩ وقد أكده هذا الكلام مرة أخرى عندما ألقى كلمة أمام نواب البرلمان الأوروبي بسترباسبورغ يوم ٢٠٢٢/١/١٩ يوم تسلم بلاده رئاسة الاتحاد الأوروبي لستة أشهر قادمة حيث ("دعا فيها إلى تحالف جديد مع القارة الأفريقية، ودعا إلى عقد قمة بين القارتين في شباط القادم" ... فرنس برس، ٢٠٢٢/١/١٩)،

وقد أشار إلى الاستثمارات هناك أي هيمنة الشركات الأوروبية وخاصة الفرنسية على ثروات البلاد ونخبها، وأشار إلى الاستثمار في الصحة أي استغلال موضوع الأمراض لتصريف الأدوية، وأشار إلى موضوع الأمن للمحافظة على النفوذ الفرنسي هناك.

٣- وكانت مصادر أمنية أفادت بأن الرئيس كابوري محتجز منذ يوم الأحد ٢٣/١/٢٠٢٢ في ثكنة عسكرية بعدها تمردت على سلطته وحدات عسكرية مطالبين بإقالة كبار مسؤولي الجيش؛ رئيس الأركان ورئيس جهاز المخابرات متهمين بإيامهم بالفشل في محاربة الجهاديين وطالبوها بتخصيص موارد إضافية لمواجهة هذه المجموعات. وطالبوها برحيل الرئيس وإطلاق سراح الجنرال جيلبرت دينديير من السجن والذي أدانته السلطات عام ٢٠١٥ بالقيام بمحاولة انقلاب فاشلة وأودعته السجن. (وقال الجيش "إن كابوري فشل في توحيد الأمة والتعامل معها بفعالية مع الأزمة الأمنية التي تهدد أسس أمتنا". بي بي سي ٢٥/١/٢٠٢٢) وقائد الانقلاب بول هنري ساندواغو داميا ضابط مشاة كبير في جيش بوركينا فاسو تخرج من المدرسة العسكرية بباريس وحصل فيها بمعهد CNAM على الماجستير في العلوم الجنائية. فهذه النشأة وفي بلد تهيمن عليه وعلى جيشه بشكل عام فرنسا وتبشيراته الواهية للانقلاب، مع ظهور ما يدل على عدم انزعاج فرنسا من الانقلاب، بل ظهور ما يدل على رضاها عنه... كل ذلك يؤكد أنه قام بهذا الانقلاب بدعم من فرنسا.

٤- لقد صرَّح الرئيس الفرنسي ماكرون عقب الانقلاب قائلاً "إن رئيس بوركينا فاسو روش مارك كريستيان كابوري انتخب مرتين من قبل شعبه في انتخابات ديمقراطية. قيل لي إنه ليس في خطر التعرض لأذى جسدي"... فرنسا برس ٢٥/١/٢٠٢٢) فهذا التصريح فيه من الدهاء ما فيه ما يدل على أنه مؤيد للانقلاب وليس آسفاً عليه وغير مكترث بسقوطه والانقلاب عليه، ولكنه قال "ليس في خطر التعرض لأذى جسدي"! فكانه يريد أن يقول بلهجة شعبية "مليح إنه نجا ببدنه قبل أن يقتل"! وموضع قتل فرنسا لخصومها في بوركينا فاسو وتنصيب عمالئها مكافئه أمر معروف، فقد قُتل الرئيس السابق لبوركينا فاسو توماس سانكارا عام ١٩٨٧ والذي كان يظهر ثورياً ماركسياً ليغطي على عمالته لأمريكا، قُتل على يد عميل فرنسا بليز كومباوري الذي تولى الحكم عقب مقتله في انقلاب عسكري طبخته فرنسا في تلك السنة، واستمر في الحكم حتى عام ٢٠١٤ حيث حدث انقلاب ضباط الجيش الموالين لأمريكا، ومن ثم بعد سنة سمحوا بإجراء انتخابات ففاز فيها روش كابوري عام ٢٠١٥. ولم يطالب ماكرون بالإفراج عنه وإرجاعه إلى السلطة كما طالب الانقلابيين في مالي بالإفراج عن الرئيس المالي إبراهيم أبو بكر كيتا واحترام الدستور وإرجاعه إلى الحكم عام ٢٠٢٠. لأنه في مالي حينها كان الرئيس عميلاً لفرنسا، لذلك طالبت بالإفراج عنه، أما هنا فلم يطالب ماكرون بالإفراج عن كمباري وهذا يشير إلى أنه ليس من الموالين لفرنسا، ولم يصدر إدانة باسم فرنسا وإنما قال "تفق بوضوح وكالعادة مع الجموعة الاقتصادية للدول غرب أفريقيا في إدانة هذا الانقلاب العسكري". أي أن الإدانة جاءت مجازة ومداراة لدول هذه الجموعة.

٥- وأما الموقف الأمريكي فقد صرَّح متحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية قائلاً: ("إن الولايات المتحدة تطالب الجيش في بوركينا فاسو بالإفراج الفوري عن الرئيس كابوري واحترام الدستور وقادَةَ البلاد المدنيين، وإن واشنطن تحض جميع الأطراف في هذا الوضع المضطرب على الحفاظ على الهدوء وتسلِّمِ الحوار سبيلاً لتلبية مطالبهم"... فرنسا برس ٢٤/١/٢٠٢٢) فيدل ذلك على أن أمريكا ليست راضية عن الانقلاب وتطلب بالإفراج عن الرئيس كابوري واحترامه كقائد مدني للبلاد واحترام الدستور بإعادته إلى الحكم لكونه رئيساً منتخبًا. وهذا مختلف عن موقفها من انقلاب عام ٢٠١٤، فقد قالت آنذاك المتحدثة باسم الخارجية الأمريكية حين سألي: ("إن الولايات المتحدة ليست مستعدة لوصف ما إذا كان استيلاء الجيش على السلطة في بوركينا فاسو يصل إلى حد الانقلاب أم لا، وهي خطوة إذا اتخذت قد تطلب وقف المساعدات الأمريكية عن البلاد"... رويترز ٣/١١/٢٠١٤) فقد أيدت انقلاب عام ٢٠١٤ عندما لم تصفه أنه انقلاب، ولكنها في الانقلاب الأخير طالبت الجيش بالإفراج الفوري عن الرئيس واحترام الدستور الذي لا يجيز حدوث الانقلابات ويؤكد على شرعية الرئيس.. وقامت المتحدثة باسم القيادة الأمريكية في أفريقيا (أفريكوم) كيلي كاهالان في رسالة إلكترونية عقب الانقلاب يوم ٢٥/١/٢٠٢٢ قالت فيها: "إن المقدم داميا تلقى تعليمات بشأن النزاعات

المسلحة والسيطرة المدنية واحترام حقوق الإنسان. وإن الاستيلاء العسكري لا يتوافق مع التدريب والتعليم العسكريين الأميركيين". حيث أشارت القيادة الأميركيّة أفيكوم أن المقدم داميّا شارك في العديد من الدورات والتدريبات العسكريّة الأميركيّة بين عامي ٢٠١٠ و ٢٠٢٠. وكأنه لم يرتبط بأميركا وبقي على ولائه لفرنسا، ولهذا عارضت أميركا قيامه بهذا الانقلاب.

٦- وقد اهتمت روسيا بما حدث في بوركينا فاسو، فقالت وزارة الخارجية الروسية في بيان: "(إن موسكو قلقة من التفاقم الجسيم للوضع السياسي الداخلي في هذا البلد الأفريقي الصديق لروسيا وإنها تتبع عن كثب تطورات الوضع وتعول على عودته إلى طبيعته في أسرع وقت ممكن" ... موقع وزارة الخارجية الروسية ٢٠٢٢/١/٢٤). فهذا الاهتمام الروسي يثير الانتباه إلى أن هناك ما يدفع روسيا للتدخل في منطقة نفوذ غري. إذ إنه ظهر أن أميركا تستخدّم روسيا في أفريقيا كما تستخدّمها في الشرق الأوسط للحفاظ على نفوذها كما فعلت في سوريا حيث أعطت الضوء الأخضر لتدخلها في سوريا عام ٢٠١٥ لحماية نظام عميلها بشار أسد، وكذلك استخدّمتها لبسط نفوذها كما فعلت في ليبيا حيث طلبت من عميلها حفتر أن يتصل بروسيا ويستمد منها الدعم ضد أوروبا، وقد أعزّت مؤخرا لعملائها في مالي ليطلبوا منها الدعم في مواجهة النفوذ الفرنسي، فأرسلت روسيا مجموعة فاغنر المرتزقة الروس. وقد أشار القائم بأعمال البعثة في المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية أندرو ليوفيتشر إلى ذلك قائلا: "(إن الصعوبات التي واجهتها أوروبا وفرنسا على وجه الخصوص في احتواء الجماعات الجهادية في منطقة الساحل أتاحت لروسيا فرصة لتوسيع تعاونها الأمني لا سيما في مالي" ... خبر ٢٥.كوم ٢٠٢٢/١/٢٦) ومع ذلك فإن النفوذ الروسي بعيد عن الاستحكام في بوركينا فاسو، فلا صراع روسي مع فرنسا في بوركينا فاسو، وقد قال مسؤول فرنسي عسكري كبير لم يرد أن يذكر اسمه: "(إن حقيقة تدريب المقدم داميّا في باريس وليس في موسكو، تعني أن فرنسا يجب أن تكون قادرة على إيجاد طريقة لمواصلة تعاونها المستمر منذ عقود مع جيش بوركينا فاسو، ومناقشة قضايا الأمن القومي. (ولكن) علينا أن نكون فاعلين لتجنب أي فراغ قد يستغلّه الروس" ... خبر ٢٥.كوم ٢٠٢٢/١/٢٦).

٧- ولكن الصراع الفعلي هو بين أميركا وفرنسا في بوركينا فاسو وفي غرب ووسط أفريقيا.. وكما ذكرنا آنفاً، فإن الانقلابات والانقلابات المضادة متداولة بين أميركا وفرنسا في بوركينا فاسو، وليس هذا فحسب، بل إن الصراع أوسع من ذلك فإنه يحتمل في عموم أفريقيا بين أميركا والمستعمرين القدماء بريطانيا وفرنسا اللتين تتشبثان بالبقاء في مستعمراتهما القديمة والمحافظة على هذا الاستعمار بأشكال مختلفة. إن الدول الاستعمارية إن لم تختلّ البلد مباشرة تعمّل لإيجاد نفوذ لها عن طريق العملاء في مختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والإعلامية وغيرها من المجالات الحيوية والمؤثرة في البلد. وهؤلاء من أخطر ما يكون على البلاد فهم أخطر من جيوش الاحتلال، لأن المحتل لا يترکز إلا بهم ويتحفّز بهم ويحقق مصالحه بواسطتهم ويحول دون محاربته متّرساً من خلفهم. ﴿هُمُ الْعُدُوُ فَاحذِرُهُمْ قاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّ يُؤْفِكُونَ﴾ وقد ظهر أن أسلوب الانقلابات أسهل طريقة لبسط النفوذ وطرد نفوذ آخرين، إذ إن هناك ذمّاً رخيصة شراؤها سهل، فأصحابها مستعدون للتعاون مع هذا المستعمر أو ذاك في سبيل الوصول إلى الحكم وتبؤ المناصب ولو على حساب شعوبهم وبладهم، ولا يعرفون طريقة للاستقلال عن هذه القوى، فيبحثون دائماً عن سند خارجي يسندّهم للوصول للسلطة والبقاء فيها. ولا توجد من بينهم عقليات مستقلة في التفكير والإرادة، كما لا توجد الشخصيات المبدئية أو السياسية العقائدية التي تعرف كيف تدير البلاد وتنهض بها بعيداً عن القوى الخارجية. إن مصيبة بلاد المسلمين اليوم هي في هؤلاء الحكام العملاء الذين يجعلون "الكرسي" فوق بلدّهم وشعبهم! فالواجب على المسلمين أن يعمّلوا بصدق وإخلاص لخلع النفوذ الاستعماري من بلادهم بكل أدواته، واستئناف الحياة الإسلامية من جديد، ومن ثم تعود هذه الأمة كما قال العزيز الحكيم في محكم كتابه الكريم: ﴿كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

في السابع والعشرين من جمادى الآخرة ١٤٤٣ هـ

٢٠٢٢/١/٣٠